كلمة طلاب الفقيد
الدكتورة خديجة الدّالاتي

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيّها الحفلُ الكريم..

أساتذتنا الأفاضل..

كلُّ الاحترام والتّقدير للقامات العلميّة في سماء العلم والثّقافة..

لا أدري.. أأعبّر عن سروري أم أعبِّر عن حزني.

أأعبّر عن سروري لأنّني تشرّفت بالوقوف أمام حضراتكم.

أم أعبّر عن حزني بسبب المناسبة التي جعلتني أقف هذا الموقف.

هنالك أشخاص برحيلهم يزداد ظلامُنا حُلْكَةً... يَعْبُرون في دنيا البشر... يأبون أن يكون مرورهم فيها عاديًّا... ومعلِّم الأجيال؛ معلّمنا وقدوتنا الدّكتور عبد الإله نبهان في مقدّمتهم.. لقد غادرنا إلى دار البقاء جسدًا، أمّا روحه فباقية تتجدَّد ثمارها... ويتجذَّر أصلها... ويسمو فرعها في السّماء.

لست هنا في موقع الشّهادة للفقيد، فهو في غنى عن ذلك... ولا يمكنني مهما أوتيت من بلاغة وحسن تصوير أنْ أوفِّيَه حقَّه، ولكنْ...

حسبي أن أتفيَّأ مقامه الجليل وأن أشارك في تأبينه باسم كل طلّابه الذين سيحملون فضله في قلوبهم ووجدانهم ما عاشوا.

كان خبر وفاة أستاذي ومعلّمي الدّكتور عبد الإله صاعقًا فاجعًا.. وكلُّ من سمع النّبأ يومذاك بدا وكأنّ على رأسه الطَّير... وشاء القدر أن أكتب هذه الكلمة باسمي وباسم كلّ من تلمذ لأستاذنا الغالي لأتحدَّث عن قامة سامقة من قامات العلم والبذل والمجد والعطاء.

على أن أحسن تأبين يريح روح فقيدنا الغالي هو استخلاص العبر من سيرته... وانتهاج سلوكه... واقتفاء خطاه... وأحسن شهادة في حقه ليست الكلمات مهما كانت منمَّقة ومختارة، بل العمل من بعده بجدٍّ، وإخلاص، والتحلّي بصفاته الحميدة، عسانا نستحقّ بعضًا من ذكره الطيب.

كان رحمه الله مثال العمل الدّؤوب والإصرار والمثابرة التي لطالما جلبت له محبّة زملائه وطلّابه وكلِّ مَنْ عرفه.

عرفنا الفقيد معلِّمًا هادئًا، متسامحًا، حمل الأمانة بإخلاص، وأعطى للحياة ولمن حوله جهده وخبرته وتجربته وحبّه لهم، تمتّع بدماثة الخلق، وحسن المعشر، وطيبة القلب، والتّواضع الذي زاده احترامًا وتقديرًا ومحبّةً في قلوب النّاس والطّلّاب وكلِّ مَنْ التقى به.

لا يتأبّى عليه ميدان من ميادين اللّغة والنّحو والتّأليف والتّحقيق العلميّ الدّقيق. أغنى المكتبة العلميّة والثّقافيّة بأغلى الكنوز وأصفى الدّرر في مجال التّحقيق والتّأليف.

وفي حضرة غيابه لا بدّ لي من أن أستحضر فضله العظيم... وخيره العميم عندما تحمَّل مع زملائه الرّعيل الأوّل في كلّيتنا؛ أساتذتنا الأفاضل الأستاذ الدّكتور أحمد دهمان والأستاذ الدّكتور رضوان قضماني عبء

استحداث كلّية الآداب في جامعة البعث في حمص... عملوا بصمت وجدّ ومثابرة... استحدثوا الكلّية... ودرَّسوا موادها... وبَنَوا مكتبتها العامرة... فكانت بعض غرسهم الطّيّب... خرَّجت كبار الأدباء والمدرِّسين الذين سيتابعون مسيرة العطاء بإذن الله...

كانت أسعد أوقاتي حينما أزوره في مكتبه الذي يتشاركه مع أستاذنا البلاغيّ الفذّ الأستاذ الدّكتور سمير معلوف أطال الله في عمره... ذلك المكتب الذي يعدّ محجّةً لأساتذة الكلّية وطلّابها... يقصده كلُّ طالب علم ومعرفة... نقضي فيه أجمل الأوقات نستقي من علمهما الوفير... ونكتسب من أدبهما الرفيع... ونستمتع بالأحاديث الطّريفة التي تكشف عن الجانب الآخر من شخصيتيهما... ألا، وهو حبُّهما للفكاهة الطَّريفة المؤدَّبة.

لقد شَرُفْتُ وسَعِدْتُ بأنْ كان فقيدُنا الغالي مشرفًا على رسالَتَيَّ لنيل درجتي الماجستير والدّكتوراه. كان شرفًا عظيمًا لي أن أحظى بمجالسة ذلك العالم الجليل وأقْبِسَ من نورِ علمِهِ وفَيْضِ ثقافتِهِ الموسوعيّة.

ويحضرني هنا جلساتُنا، الدّكتور نبهان وأنا، عندما كنّا نناقش الموضوعات المقترحة لرسالَتَيْ الماجستير والدّكتوراه، ونضع خُطّةَ العمل، ونُجْرِي عليها التّعديلاتِ والتّصويباتِ بما يتلاءمُ مع سير البحث.

وإنْ أنسَ فلن أنسى حِرْصَهُ الشّديدَ على متابعة كلِّ خطواتِ العمل وتصحيح كلِّ مراحله.. وستبقى في ذاكرتي ما حييت بسمتُهُ الوضّاءةُ وسعادتُهُ الملتمعةُ في عينيه فرحًا بنجاحي أو بنجاح أيِّ طالبٍ من طلّابه... وابتهاجًا باجتيازه الدّفاع عن رسالته.

أستاذي القدير... هنيئًا لنا أنّنا عرفناك... وحمدًا لله أنّك كنت الرّجل الذي نعتزُّ بالقول إنّه كان لنا الأخَ الموجِّه... والمعلِّم النّاصح... والأب الرؤوف.

تركتنا إلى دار البقاء... مودِّعًا دار الفناء... مخلِّفًا لنا إرثًا كبيرًا وكنزًا وفيرًا من الإنجازات العلميّة العظيمة...أقفلت باب الحياة بهدوءٍ وقورٍ... وطويت صفحة العمر بعد أن زخرفتها بالمحبّة والعطاء والفرح والاتّزان.

كم هي قاسية لحظة الوداع والفراق التي تُسَجَّلُ وتُخْتَزَنُ في القلب والوجدان والذّاكرة... وكم نشعر بالحزن وفداحة الخسارة والفجيعة.

أستاذَنا ومعلَّمَنا... رحمكم الله رحمة واسعة... فقد كنتم للعربيّة حصنًا... وللبلاغة موئلًا... عَزَّ نظيرُهُ في حَوْمَةِ البيانِ العربيّ.

أطال اللهُ في أعمارِكم جميعًا أساتذتَنا الأفاضل... وأمدّكم بالصّحّة والقوّة...

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *